

إطلالة جديدة على كراغلة وادي الزيتون

A New View of the Oued-Zeitoun Kuloughlis

د. أمين محرز*، جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة - (الجزائر)

a.mahrez@univ-dbkm.dz

تاريخ الاستلام: 2022 /09/14 تاريخ القبول: 2022 /09/30 تاريخ النشر: 2022 /12/31

ملخص:

في ظل تعدد الفئات الاجتماعية الذي عرفته الحواضر الجزائرية خلال العصر الحديث، كان من أهم آثار الوجود العثماني ظهور فئة من المولدين عرفوا بالكراغلة؛ ولقد كانت هذه الشريحة في الغالب نتاج زواج العناصر التركية العثمانية من نساء الفئات الأخرى.

وانفردت منطقة ريفية وحيدة، ألا وهي منطقة وادي الزيتون، بتشكيل تجمع كرغلي في ظروف غير عادية أواسط القرن السابع عشر. وبمرور الوقت، تحول هذا التجمع إلى قبيلة مخزنية اضطلعت بدور أكيد في تاريخ الإيالة.

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على خصوصيات قبيلة الزواتنة، والتي من أبرزها أهميتها على الصعيد العسكري بالنسبة للسلطة المركزية العثمانية.

كلمات مفتاحية: الكراغلة، وادي الزيتون، الزواتنة، الإنكشارية، إيالة الجزائر.

Abstract:

In light of the multiplicity of social groups that the Algerian cities knew during the Modern Era, one of the most important effects of the Ottoman presence was the emergence of a group of mestizos known as the Kuloughlis ; This category was mostly the product of the marriage of Ottoman Turkish elements with women from other groups.

A single rural area, the Oued-Zeitoun area, was unique in the formation of the Kuloughlis grouping in especial circumstances during the middle decades of the seventeenth century. Over time, this grouping turned into a Makhzen tribe that played a certain role in the history of the Eyalet.

This study seeks to shed light on the peculiarities of the Zouatna tribe, the most prominent of which is its importance at the military level for the Ottoman central authority.

Keywords: Kuloughlis; Oued-Zeitoun; Zouatna; Janissaries; Eyalet of Algiers.

مقدمة :

يعتبر اسم النسب زيتوني¹ من الألقاب العائلية المنتشرة في أنحاء عدة من الجزائر؛ والمعلوم لدى المهتمين بالتاريخ أن بعضا من حاملي ذاك اللقب ينحدرون من قبيلة مخزنية كانت ذات شأن أيام الأتراك العثمانيين.

تلك القبيلة المعروفة باسم "الزواتنة" تتفق الكتابات التاريخية² التي تطرقت إليها بأن أصل أفرادها يعود إلى كراغلة³ عاصمين تأمروا - أو على الأقل اشتبه فيهم بالتأمر - للإطاحة بهيمنة

¹ نفس الشيء يمكن قوله عن نظيره الأقل تواترا زواتي، الذي اشتق من صيغة جمع زيتوني.

² من بين تلك الكتابات التاريخية، نذكر على سبيل المثال :

- Francis Knight, *A relation of seven yeares slavery under the Turkes of Argeire, suffered by an English captive merchant*, T. Coles, London, 1640, pp. 3-4; Pierre Boyer, "Le problème kouloughli dans la régence d'Alger", in : R.O.M.M. n° spécial, 1970, pp. 82-83.

"الأتراك" على السلطة والجيش مغتربين قرب حلول يوم عيد الفطر من سنة 1038هـ (الموافق لـ 23 ماي 1629م) ؛ بيد أن انكشاف خيوط المؤامرة المزعمة أو المزعومة ، يومين قبل الموعد المفترض للتنفيذ، جعلت الديوان - الذي كان أغلبية أعضائه النافذين من الأتراك - يصدر عدة قرارات نفي في حق المئات من أفراد تلك الفئة.

ورغم أن القرارات المذكورة كانت متباعدة، إلا أن الكراغلة لم يحركوا ساكنا مع ذلك، إما لكونهم أبرياء أصلا من التهمة التي ألصقت بهم، أو لأنه أسقط في أيديهم بسبب افتضاح أمرهم. المهم أن معظم المنفيين أجمعوا بعد قرابة السنتين على العودة إلى مسقط رأسهم مهما يكن ؛ وعندما كانوا على وشك ولوج مقاطعة دار السلطان⁴، منعتهم قوات أرسلت خصيصا من المضي في سبيلهم، وحصرتهم في منطقة صغيرة تعرف بوادي الزيتون.

كل ذلك الظلم والظيم الذي تعرض له الكراغلة جعلهم يرفعون راية الثورة لسنوات ضد تسلط الأتراك، والتي كانت أبرز فصولها محاولة استيلائهم على حصن القصبة سنة 1633م وتفجيره ؛ وهي الحادثة التي أدت إلى تدمير خمسمائة من منازل المدينة كما أودت بحياة ستة آلاف شخص، بحسب مصادر معاصرة⁵.

ويبقى الأمر المحير في أعقاب هذه القصة هو كيف تحول أولئك المبعدون لاحقا من عداوة "الأتراك" إلى مخزن داعم لهم. هذا ما سنحاول التوصل إلى معرفته من خلال إبراز خصوصيات تلك القبيلة وأهميتها الناجمة عن علاقتها المميزة مع السلطة المركزية.

- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، دراسة وتحقيق فارس كعوان، ط. 1، بيت الحكمة، العلمة، 2009، ص ص. 49-50 و 84.

³ انظر أدناه تعريف هذا المصطلح.

⁴ دار السلطان هو إقليم الجزائر العاصمة الواقع تحت سلطة حكام الإيالة المباشرة ؛ وكان يوافق وقتئذ سهل متيجة وسفوح الأطلس المحيطة على وجه التقريب. انظر: ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791-1830)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص. 24-23 و 44-41.

⁵ انظر في هذا الصدد :

- Knight, Op. cit., pp. 3-6 ; Pierre Dan, *Histoire de Barbarie et de ses corsaires*, 2^e éd., Paris, 1649, pp. 112-113.

1. محاولة ضبط المصطلح

قبل أن ننتعمق في ثنايا هذه الدراسة، يتوجب علينا أن نتفق على ضبط تعريف تاريخي لفئة الكراغلة فيما يتعلق بإيالة الجزائر.

لقد اصطلحت معظم الكتابات التاريخية والدراسات المعاصرة على تعريف تقليدي للكراغلة أثناء الحقبة العثمانية، تعريف اختزل أفراد الفئة المذكورة في كونهم المنحدرون من آباء أتراك، ونساء محليات من الأهالي⁶. وعلى الرغم من أن هذا التعريف الشائع يبقى صحيحا بالنسبة لأغليتهم، إلا أنه لا يستقيم ليشمل كافة العناصر الكرغلية، وكيفينا أن نورد مثالا مضادا لتبيان عدم دقته : لدينا في هذا الصدد الباي محمد الكبير المعروف أيضا بالأكحل، ولعله من أشهر البايات الكراغلة، شهرة استحقتها لكونه صاحب الفضل في افتتاح وهران ومرسى الكبير من قبضة الإسبان في سنة 1792م⁷؛ فهذا الباي الكرغلي لم يكن أباه تركيا ولا أمه محلية، إذ إنه كان سليل الحاج عثمان بن إبراهيم الكردي، الذي شغل منصب خليفة على مليانة قبل أن يرتقي حاكما لبابك التيطري، فيما كانت أمه جارية سودانية اسمها زائدة، أهداها لأبيه مولاي إسماعيل سلطان المغرب الأقصى لمودة كانت بينهما⁸.

ويجدر التنويه إلى أنه يتعذر ضبط المصطلح إن لم نعد أولا إلى أصله اللغوي. وكرغلي في صيغة المفرد مشتقة من الكلمة العثمانية قول اوغلو، المركبة من اللفظين : قول "عبد" و اوغلو "ابن"؛ وعليه، فمدلول الكلمة حرفيا هو "ابن العبد"، واصطلاحا يعني ابن فرد من القوات

⁶ فارس كعوان، النظام العثماني والفئات الاجتماعية في الجزائر. الكراغلة نموذجا، 1629-1830، ماجستير في التاريخ، جامعة منتوري - قسنطينة، 2004-2005، ص. 3-6؛ شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج. 2، ط. 2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص. 338.

⁷ Henri-Léon Fey, *Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination espagnole*, Typographie Adolphe Perrier, Oran, 1858, pp. 250-264.

⁸ أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط. 1، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص. 15؛ بلبروات بن عتو، "الباي محمد الكبير - باي وهران 1779-1797: حياته وسيرته"، في: مجلة عصور 3، جوان 2003، ص. 157-158.

النظامية الملازمة للأعتاب السلطانية (الإنكشارية، السباهية، الطوبجية، إلخ.)، التي كانت تعرف بالقپو قوللري "عبيد الباب [السلطاني]"⁹.

وبناء على ذلك، فالكراغلة - أو القول أوغليون، إن اعتمدنا صيغة هي أقرب للعثمانية¹⁰ - هم في الأصل الأبناء الذكور الذين نتجوا عن زواج أفراد من عسكر القپو قولل بنساء مسلمات أو ذميات، من الحرائر أو الرقيق - وليس فقط من نساء محليات "جزائريات" مثلما شاع في تعريف المصطلح -، وحتى لو كانت نساء تركيات من الأناضول؛ فقد أشار القنصل الفرنسي فالليير (Vallière) في مذكرته حول الجزائر، بما لا يقبل النقاش، أن "الأطفال المولودين بالجزائر، وإن كانوا أبناء أب وأُم تركيين مشرقيين، لم يكونوا يعتبرون قط سوى كراغلة"¹¹.

ونخلص من كل ما سبق إلى أن فئة الكراغلة في الجزائر - حصوا لمداول المصطلح - كانوا أبناء الأتراك العثمانيين والكراغلة والأعلاج المنتسبين لأوجاق الإنكشارية أو إحدى الجماعات الفرعية الملحقه به، وذلك بغض النظر عن انتماء أو نسب أمهاتهم¹².

2. هل الزواتنة من الكراغلة؟

استنادا على توكيد القنصل الأنف الذكر بأن "ابن الكرغلي الذي أهمل أو لم يستطع تسجيل نفسه في المليشيا - يعني الإنكشارية - يتدنأ وينحدر هو وذيته إلى طبقة الأهالي"¹³، اعتبر

⁹ هاملتون جب و هارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة أحمد عزت عبد الكريم، ج. 1، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص. 64؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط. 2، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص. 123.

¹⁰ خليفة حماش، "أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية"، في: كتاب تحية وتقدير للأستاذ خليل الساحلي أوغلو، ج. 1، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 1997، ص. 158-159.

¹¹ Lucien Chaillou, *Textes pour servir à l'histoire de l'Algérie au XVIII^e siècle, suivis de la guerre de quinze heures*, Toulon, 1979, p. 31.

¹² كعوان، المرجع السابق، ص. 6-7. انظر أيضا: فاتح رجب قدارة، "الكراغلة في التاريخ الليبي الحديث والمعاصر"، في: المؤتمر الدولي الخامس بعنوان العرب والترك عبر العصور، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، الإسماعيلية، مارس 2013، ص. 468.

¹³ Chaillou, Op. cit., p. 31.

المؤرخ تال شوفال أنه من الخطأ عد أفراد قبيلة الزواتنة من الكراغلة¹⁴. للعلم، كان الزواتنة المقيمين بإقليم وادي الزيتون (نواحي الأخضرية حاليا)، يشكلون حسب شهادة حمدان خوجة أهم جماعة كرجلية في الإيالة¹⁵، حيث كان "يبلغ عددهم بضعة آلاف"¹⁶ من المقاتلين الأشداء؛ ويرجع أصلهم بوجه عام إلى ما يربو عن الألفين وثلاثمائة كرجلي، الذين نفاهم "الأتراك" على أربع دفعات ما بين ماي 1629م ومارس 1630م لشبهة التحضير لمؤامرة ضدهم؛ وأواخروهم نفيا كما ذكر أسير إنكليزي معاصر للأحداث "تحدروا من الأتراك الأوائل الذين فتحوا البلاد"¹⁷. وعليه، فحينما قبل أبناء أولئك المنفيين في صفوف الإنكشارية - كما سنرى لاحقا - بعد مرور عقود من ذلك، فإن بعضهم كانوا يمثلون في الواقع الجيل الرابع من "أبناء الأتراك"، أي بعبارة أخرى أحفاد أحفاد رفاق الأخوين بربروس وخلفائهم. فكيف إذا احتفظ أولئك الزواتنة بصفة الكرجلية رغم كل ذلك الوقت؟

للإجابة عن هذا الإشكال، يتوجب علينا دراسة ظروف نشأة وبروز تلك الجماعة المحلية الموازية مع تطور علاقتها بالسلطة المركزية العثمانية، في سياق ما سماه بيبير بواييه "المشكلة الكرجلية"¹⁸: قد تكون أول جزئية جديرة بالاهتمام في هذا الخصوص أن النفي طال ستين أوده باشي وبلوكباشي كرجلي من أعضاء الديوان¹⁹؛ ولم يهنا بال "الأتراك" من بقاء أعداد معتبرة من العساكر الكراغلة بالمدينة، لا سيما بعد أن علم لدى الجميع بأن إبعاد ضباط الإنكشارية المذكورين إلى بجاية حوله الديوان سؤا إلى قرار نفي نهائي إلى تونس²⁰، فقرروا خلال خريف 1629م نفي سبعمائة ضابط وجندي آخر على دفعتين إلى تونس²¹. وليقطع نهائيا دابر الكراغلة

¹⁴ Tal Shuval, *La ville d'Alger vers la fin du XVIII^e siècle. Population et cadre urbain*, CNRS Édition, Paris, 1998, pp. 107-108.

¹⁵ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وترجمة محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص. 155.

¹⁶ سيمون فريدريك بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتقديم وتعليق أبو العيد دودو، دار هومه، الجزائر، 2009، ص. 185.

¹⁷ Knight, Op. cit., pp. 3-4.

¹⁸ Boyer, Op. cit., pp. 79 & 83.

¹⁹ Knight, Ibid., p. 3.

²⁰ Ibid., p. 4.

²¹ Id.

الذين استهجنوا إعدام عددٍ من المنفيين الذين اكتشف أمرهم بالمدينة غرقا، أصدر أعضاء الديوان قراوا منح بموجبه 1574 فردا من طائفتي العزب (جنود البحرية النظاميين) والرياس، وكذا من أبناء الأسر الكراغلية النافذة مهلة يومين لمغادرة العاصمة تحت طائلة الموت وشهروا واحدا للخروج من الإيالة²². وهكذا، رأينا أن عددا ليس بقليل من الكراغلة المنفيين كانوا منتسبين فعليا إلى أوجاق الإنكشارية.

مع بداية ربيع 1632م، بدأ الكراغلة يعودون تدريجيا من مناهم التونسي على شكل زمر قاصدين العاصمة، غير أنهم وجدوا كافة المنافذ إلى دار السلطان قد أغلقت في وجههم؛ ولذلك ألجئوا للارتداد إلى تخوم بلاد زواوة، حيث انضمت أعداد منهم إلى القوات القبائلية الثائرة مشكلة حلفا لا يستهان به ضد "الأتراك"²³.

استمرت الأعمال الحربية للتحالف القبائلي الكراغلي قرابة سبع سنوات، توغلت خلالها ثلاث حملات عسكرية في بلاد القبائل لاجتثاثهم من معاقلهم الجبلية دون جدوى²⁴. وعقب تعرضهم لهزيمة منكرة صيف سنة 1639م، اضطرقادة المحلة العثمانية إلى التفاوض مع زعماء القوات القبائلية، وتضمن نص معاهدة الصلح التي أبرموها بندا خاصا منح الكراغلة بموجبه عفوا علما وحق العودة²⁵؛ لكن هذا البند لم يتم حقيقة احترامه وتطبيقه، إذ رفض أعضاء الديوان في الجزائر إعادة الكراغلة إلى صفوف الجيش أو حق السماح لهم بالعودة إلى أهاليهم

²² Knight, Op. cit., p. 4 ; Dan, Op. cit., p. 112.

²³ ابن المفتي، المصدر السابق، ص. 50.

تجدد الإشارة أن الحلف تيسر على يد أحد أمراء كوكو، أحمد التونسي الملقب ببوختوش، الذي رافقته بعض جموع الكراغلة حتى بلاد زواوة. انظر في هذا الصدد:

- S. A. Boulifa, *Le Djurdjura à travers l'histoire (depuis l'Antiquité jusqu'à 1830)*, J. Bringau, Alger, 1925, pp. 222-223.

- زيد بن قاسمي، قيادة سيباو 1132هـ/1720م-1247هـ/1857م، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص. 47.

²⁴ Boyer, Op. cit., p. 83.

²⁵ Dan, *Ibid.*, pp. 134-135.

بالعاصمة²⁶. الشيء الوحيد الذي أبيع لهم هو الاستقرار في المنطقة الشمالية من وطن بني جعد التابع وقتذاك لبابك التيطري، حيث تملكوا بالشرء أراضي على الضفة اليسرى لوادي يسرفي حوض وادي الزيتون²⁷.

وسواء وقع اختياره عرضا أو قصدا، كان موقع وادي الزيتون يتمتع بالعديد من المزايا التي ستخدم قاطنيه مستقبلا : أولها أنه كان يحاذي أهم مسارات الطريق السلطاني الشرقي المؤدي إلى قسنطينة²⁸ ؛ وثانيها أن هذا الإقليم الصغير كان متاخما من جهة للسفوح الغربية لبلاد القبائل، المستعصية في وجه السلطة العثمانية، ومن جهة أخرى يتصل بدار السلطان عبر جنوب وطن الخشنة²⁹ ؛ وآخرها أنه كان يشكل همزة وصل لبابك التيطري مع شريط الأراضي الضيق المنتهي بمنفذه البحري الوحيد، والواقع عند مصبي وادي سباو ويسر³⁰.

²⁶ H.-D. de Grammont, *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)*, Ernest Leroux, Paris, 1887, p. 189.

الجدير بالتنويه أن بعض الكراغلة المبعدين بوادي الزيتون تحصلوا في سنة 1650 على إذن استثنائي للعودة إلى العاصمة، مقابل ضمانات مالية :

- H.-D. de Grammont, « *Relation entre la France & la régence d'Alger au XVII^e siècle* », in : R. A. 28, 1884, p. 206.

²⁷ *Bulletin officiel du Gouvernement Général de l'Algérie (Partie supplémentaire)*, T. 9, Imprimerie typographique et lithographique Bouyer, Alger, 1870, pp. 79-80.

- سعيدوني، الحياة الريفية...، المرجع السابق، ص. 425 ؛ كعوان، المرجع السابق، ص. 55.

²⁸ سعيدوني، نفس المرجع السابق، ص. 286-287.

انظر أيضا : ناصر الدين سعيدوني، "الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل"، في: المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية 30، أوت 2004، ص. 199.

²⁹ Kamel Filali, « *Les Kuloughlis. Essai d'histoire d'une fusion ethnique d'origine ottomane dans l'identité algérienne* », in : Annales U.R.A.M.A. 3, 1999, p. 74.

³⁰ Henri Aucapitaine & Henri Federmann, « *Notices sur l'histoire et l'administration du beylik de Titeri* », in : R. A. 9, 1865, pp. 282-283.

انظر في هذا الصدد الملحق رقم 1 : موقع وادي الزيتون ضمن خريطة التقسيم الإداري لإيالة الجزائر أواسط القرن السابع عشر.

كل تلك المزايا جعلت الموطن الجديد للكرافة يصير في ظرف قصير نسبيا ملاذ آمنة بالنسبة لثلة من الجنود الإنكشاريين الفارين من مشاق الجندية³¹، وبالأخص من أوار ثورة ابن صخري، التي ألهمت أرجاء بايلك قسنطينة قرابة العقد من الزمن (1638-1647م)، وأفضت إلى تعرض القوات العثمانية لسلسلة من الهزائم، بحيث لم تتمكن إلا بصعوبة بالغة من التغلب عليها³².

وإضافة إلى كونه ملتجأ، أضى وادي الزيتون يمثل منطقة استقرار بالنسبة لعدد من الإنكشاريين، الذين اختاروه لعدة اعتبارات لعل أهمها هو تركيز السكان الجدد من ذوي الأصول العثمانية، حيث شاطروهم الكثير من القواسم المشتركة مثل المذهب الحنفي والتقاليد من ملبس ومأكول وغيرها، وحتى اللهجة التي تواصلوا بها كانت غنية بالألفاظ التركية والفرنكية³³؛ ويجدر التنويه أن هذا الاعتبار أو العامل مس بصفة خاصة الأتراك الوطنيين، أي الأكثر حنينا إلى مواطنهم الأصلية في "بر الترك". وبالمقابل، نلمس في المسألة التي عامل بها الكراغة أولئك وقبولهم مصاهرتهم سعيا أكيدا لتحسين علاقتهم بالأتراك وكذا صورتهم لدى السلطة العثمانية بالجزائر؛ وذلك أملا في عفو سيطول انتظاره.

³¹ سجلنا على سبيل المثال خلال الفترة الممتدة من أبريل 1749 إلى أبريل 1756م نحو 51 حالة فرار من الجندية، في دفتر مواجبات الإنكشارية رقم 1982 مكرر؛ ويمكننا أن نفترض تبعا لبيانات وجهات الفرار الواردة فيه أن ما يربو عن ثلث تلك الحالات كانت قبلتها وادي الزيتون والمناطق الجبلية المحيطة. انظر: أمين محرز، أوجاق الإنكشارية بإيالة الجزائر في عهد الدايات (1671-1830م)، دوره وتنظيمه من خلال الوثائق العثمانية: دفاتر المواجبات، ج. 2، دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2020، ص. 611.

³² للمزيد من المعلومات حول تلك الثورة، انظر:

- Ernest Mercier, *Histoire de Constantine*, J. Marle et F. Biron, Constantine, 1903, pp. 224-229.

³³ اللغة الفرنكية (lingua franca) كما عرفها شالر هي "خليط من الإسبانية والفرنسية والإيطالية والعربية، [و]هي واسطة الاتصال عادة بين الأجانب والأهالي". وليام شالر، مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر [1824-1816]. تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص. 39.

ويبدو أن وضع أولئك الكراغلة عرف تغييرا ايجابيا عقب انقلاب الأغوات، إذ فتح لهم خليل آغا (1659-1660م) باب الانخراط في قوات الإيالة مثل جماعتي الصبايحية والطوبجية³⁴؛ وهي المبادرة التي ستجعل من تلك المجموعة البشرية الناشئة تتحول سريعا إلى قبيلة مخزنية بامتياز. بيد أن أوجاق الإنكشارية بقي موصدا في وجههم، كون الديوان لم يبطل قرار منع انخراط الكراغلة من الجيل الثاني، الذي سنه بالموازاة مع قرار النفي³⁵؛ وعليه، كانت الحالات الأولى من "الزواتنة" التي رصدناها في أقدم دفاتر مواجهات الإنكشارية (جانفي 1689-جانفي 1694م) تعود على الأرجح إلى يتامى جنود "أتراك" استوطنوا في أواسط القرن السابع عشر وادي الزيتون³⁶.

³⁴ يعزى الفضل في ذلك على الأرجح إلى خوجة السر (كاتب) الآغا المذكور - وتسمي الرواية الشفوية هذا الأخير "الباشا الحاج خليل" (?) -، الذي كان ينتهي إلى قبيلة شرفة الظهر القاطنة بقرومة (وطن بني جعد) جنوب غرب وادي الزيتون؛ وكان أحفاده الذين يدعون بـ"أولاد الكاتب" لا يزالون يحظون خلال القرن التاسع عشر، حسب ما دونه الإداريون الفرنسيون، بمظاهر التبرجيل من قبل الزواتنة. استقينا هذه المعلومة من نبذة تاريخية مقتضبة عن القبيلة وردت في:

- Général Auguste Margueritte, *Extrait du dossier des opérations d'application du Sénatus-consulte du douar Guerrouma*, Alger, 15 juillet 1867.

نقلا عن :

- <http://al-akhdaria.blogspot.com/2010/10/cheurfa-dahra-guerrouma.html>, consulté le 24/05/2022 à 20:13.

³⁵ Chevalier Laurent d'Arvieux, *Mémoires du chevalier d'Arvieux*, mis en ordre par le R.P. Jean-Baptiste Labat, T. 5, Delespine le fils, Paris, 1735, p. 251.

³⁶ من مؤشرات هذا الاستقرار ورود بيان الكروغلي اليتيم حسن بن مصطفى، الذي كان أباه قد استقر في [قنطرة] بن ايني، وهو موضع يقع أقصى شرق وادي الزيتون : دفتر مواجهات يكيچريان جزاير غرب، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1960، و. 132°.

من جانب آخر، من بين أقدم الإنكشاريين الزواتنة الذين رصدنا بياناتهم في الدفتر المذكور، عبد الرحمان بن مصطفى الذي تجند غالب الظن أواخر عهد الداوي محمد التريكي (1671-1682م)، ووصل إلى رتبة أوده باشي قبل أن توافيه المنية في مارس 1707م، مخلفا ستة يتامى ذكور : نفسه، رقم 1960، و. 73ظ° : رقم 1961، و. 64ظ°-65°.

ولقد شكلت 1693م سنة فاصلة بالنسبة للكراغلة، استعادوا خلالها بصفة جزئية بعضا من حقوقهم ؛ ففي ديسمبر من ذلك العام، قام الداى قوي الشكيمة شعبان خوجة (1689-1695م) بإصدار تعليمات مشددة بأن يعامل منذ ذلك الوقت فصاعدا الأتراك وأبناء الأتراك (الكراغلة) في صفوف الإنكشارية على قدم مساواة، بحيث لا يحابى طرف على حساب الآخر³⁷، كما حدد نمطا منتظما ومتدرجا للترقية حتى أعلى رتبة ؛ وكان الدافع وراء هذه المبادرة هو السعي لضمان تماسك الأوجاق وتعزيز قوات الإيالة لمجابهة الخطر الوجودي الذي مثله تحالف محمد باي تونس مع مولاي إسماعيل سلطان المغرب ضد الجزائر³⁸.

بطبيعة الحال، كانت المبادرة المذكورة أعلاه لا ترمي إلى الإخلال بالتوازن العددي النسبي بين العناصر التركية والكرغلية الذي يحفظ للأوجاق كيانه الأصلي، بالنظر إلى أن أحد المبادئ الأساسية التي كان يحرص عليها الديوان تمثلت في المحافظة على طابعه "التركي"³⁹؛ غير أن التغير الأكثر إيجابية التي أسفرت عنه كانت السماح للكراغلة من الجيل الثاني فأدنى بالانخراط في أوجاق الإنكشارية. وتترجم ذلك بتزايد لاف في عدد الكراغلة المجندين، ولا سيما الزواتنة الذين تضاعفت أعدادهم في ظرف عقدين من الزمن من بضع عشرات إلى عدة مئات من اليولداش، مثلما لاحظناه في دفاتر المواجهات العائدة لأوائل القرن الثامن عشر.

ويبقى الأمر الذي أثار انتباهنا أن عدد الزواتنة الإنكشاريين لم يفتأ يتزايد بشكل مطرد حتى الربع الثالث من القرن الثامن عشر على الأقل، ثم استقرنوعا ما خلال العقود التالية في حدود الألف نفر؛ وهذا الرقم الأخير هو الذي رصدناه خلال السنوات الأخيرة من عمر الإيالة⁴⁰. فكيف يمكن تفسير الأهمية التي اكتسبها الزواتنة، وجعلت منهم أكبر تجمع كرجلي من المنظور العسكري بالنسبة للسلطة العثمانية؟

³⁷ Albert Devoulx, *Tachrifat. Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger*, Imprimerie du Gouvernement, Alger, 1852, pp. 119-120; Boyer, "Le problème...", Op. cit., pp. 84-85.

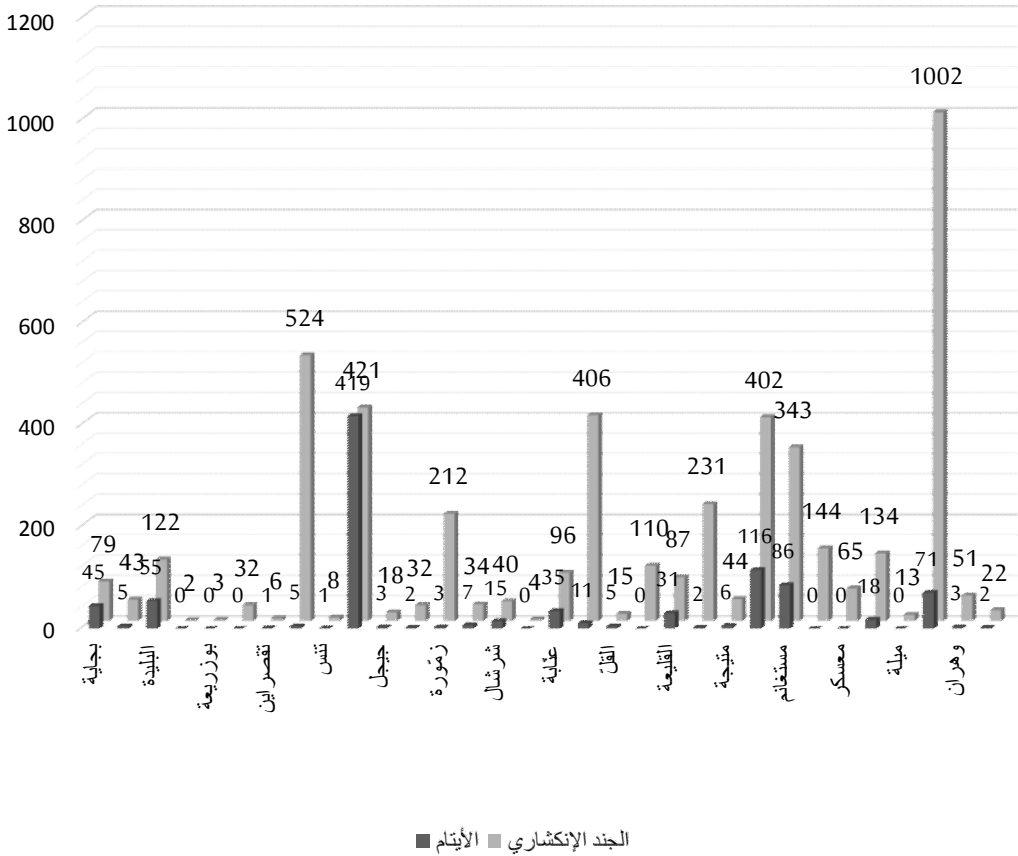
³⁸ محرز، المرجع السابق، ج. 1، ص ص. 134-139.

³⁹ انظر: كعوان، المرجع السابق، ص ص. 79-80.

⁴⁰ انظر أدناه الشكل رقم 1 : الأصول الجغرافية للأيتام والجنود الكراغلة في أوجاق الإنكشارية أواخر العهد العثماني.

الشكل رقم 1 :

الأصول الجغرافية للأيتام والجنود الكراغلة في أوجاق الإنكشارية
أواخر العهد العثماني (1826-1830 م)



المصدر: دفتر مواجبات.... المصدر السابق، رقم 1979 مكرر ؛ نفسه، رقم 1977.

3. الأهمية العسكرية للزواتنة

بما أن منطقة استقرار الزواتنة كانت واقعة تحت سلطة باي التيطري، نرجح أن أول خدمة عسكرية اضطلع بها أولئك الكراغلة كانت إدماج العشرات منهم بشكل فردي في قوات البايك المخزنية، وذلك بطبيعة الحال بعد عفو عام 1639م.

على كل، سبق أن نوهنا بالموقع الاستراتيجي الذي كان يحظى به وادي الزيتون، وهو ما جعل السلطة العثمانية بالجزائر تولي اهتمامها لذلك التجمع الكرغلي منذ بداية عهد الأغوات : ففي حدود سنة 1659م، وسع أمير كوكو أحمد بن أحمد بوختوش نفوذه في بلاد القبائل، بحيث شمل عددا من المناطق الساحلية الممتدة بين عاصمته بأورير آث غبري (قرب بلدة عزازقة) وأعالي حوض سباو⁴¹ ؛ وللتصدي له، اعتمد الأتراك العثمانيون على الشيخ قاسم بن محمد، الذي نصبوه "متوليا على بلاد قشتولة" الواقعة غرب جرجرة⁴².

ويمكننا أن نفترض أن من بين الأسباب التي جعلت خليل آغا يعتمد الزواتنة كقبيلة مخزنية وقتئذٍ سعيه لدعم شيخ قشتولة من جهة، وتعزيز الوجود العسكري العثماني بغرب المنطقة القبائلية من جهة أخرى. ولقد كانت الأدوار العسكرية الجديدة المنوطة بهم لأجل ذلك تتمثل في حراسة الطريق السلطاني وكذا الجسور مثل قنطرة الترك ببني هيني، والممرات الصعبة الواقعة بين مضايق وادي يسر (عند نواحي الأخضرية) ومنحدرات قدارة (بوزقزة) وبرج حمزة (البويرة حاليا)⁴³. وكان فرسان الكراغلة يدعمون الأبراج والنقاط المحصنة التي كانت تقيم بها نوبات (حاميات) الإنكشارية، حيث كانوا يبقون على أهبة الاستعداد لحمل السلاح والخروج لمواجهة المغيرين، إذا أمرهم بذلك القائد أو آغا النوبة ؛ و بالإضافة إلى ذلك، ساهموا

⁴¹ de Grammont, *Histoire d'Alger...*, Op. cit., pp. 210-211.

⁴² Joseph Nil Robin, « Note sur l'organisation militaire et administrative des Turcs dans la Grande Kabylie », in : R.A. 17, 1873, pp. 136-137.

انظر أيضا : صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة، الجزائر، 2012، ص. 113.
⁴³ ناصر الدين سعيدوني، "دور قبائل المخزن في تدعيم سلطة البايك بالجزائر"، في : ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط. 2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 218-219 ؛ سعيدوني، "الشبكة الدفاعية..."، المرجع السابق، ص. 201.

في الحملات العسكرية المكلفة بإقرار الأمن و استخلاص الضرائب التي كانت تشن من وقت لآخر، وتستهدف التجمعات الريفية المعادية للباييك (السلطة المركزية)⁴⁴.

ومما يؤكد المكانة العسكرية المتميزة للزواتنة، اتخاذ المئات منهم طوبجية (مدفعيين) ملازمين للأبراج ومكملين لسفريات نوبات الإنكشارية⁴⁵؛ فلقد أحصينا في محفظة وثائق أرشيفية عائدة للسنوات (1823-1830م) خاصة بجماعة الطوبجية نحو 324 زيتوني منخرط، من أصل قرابة 391 "طوبجيان [جديد]"⁴⁶. ونظوا إلى أن قرابة عشر أولئك الطوبجية انخرطوا خلال الفترة المذكورة كأنفار جدد في أوجاق الإنكشارية، علاوة على أن مواجباتهم ماثلت ما كان يتقاضاه اليولداش، فإننا نرجح في ظل غياب أية بيانات واضحة أن الأمر كان يتعلق في الواقع بأوجاق الطوبجية الأتراك⁴⁷.

خلال القرن الثامن عشر، أضى كراغلة وادي الزيتون يشكلون قوة عسكرية محترمة ينظر إليهم جيرانهم من قبائل زواوة وعشائر التيطري بعين الاعتبار، ولا سيما بعد أن تزايد عددهم بعامل الولادة وبفعل توافد أعداد أخرى من الكراغلة والأتراك من مدينة الجزائر؛ وهذا ما مكّهم من تجنيد ما لا يقل عن ألفي مقاتل ذوي مهارة في استعمال السلاح الناري، وفي

⁴⁴ سعيدوني، "الشبكة الدفاعية..."، المرجع السابق، ص. 201.

⁴⁵ Walsin Esterhazy, *De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger*, C. Gosselin, Paris, 1840, p. 249.

⁴⁶ 1MI-69. *Registre du beylik n° 80 & feuilles volantes ayant appartenu aux registres de solde (des cannonniers)*, Archives d'outre-mer, Aix-en-Provence.

تجدر الإشارة إلى أن الأرقام الواردة أعلاه لا يمكن أن تعتبر أعدادا نهائية بالنظر إلى أن الوثائق الأرشيفية عبارة عن أوراق منفصلة وتذاكر، وليست دفاتر كاملا ومضبوطا.

⁴⁷ يذكر علي رضا الجزائري بهذا الصدد: "والقول أوغليون (الكراغلة) جميعا يستخدمون في مجال المدفعية، ووضعت بأيديهم جميع مستلزمات المدافع من ذخائر وغيرها. وكان يعطى لهم كمخصصات غذائية رغيغان فقط لكل واحد منهم في كل يوم. ولما كانت أسماؤهم مقيدة في الدفتر الخاص [بالجيش]، فإنه حتى أولادهم الصغار الموجودون في المهد كانوا يأخذون تلك المخصصات. ولما يذهبون إلى القلاع في إطار النوبة، فإنهم يتلقون مرتبا جزئيا مدة دوام نوبتهم مقابل أداء عملهم. وكانوا يذهبون أحيانا برفقة الأتراك لتحصيل الضرائب. وكانت هيأتهم شبيهة تماما بهيأة فرقة المدفعيين المحليين (أوجاق الطوبجية العرب)". : علي رضا باشا بن حمدان بن عثمان خوجة الجزائري، مرآة الجزائر، ترجمة ونشر خليفة حماش، نسخة الكترونية منشورة بمناسبة تحرير وهران والمرسى الكبير، قسنطينة، 2021، ص. 108-109.

حالات النزاع كان عدد الرجال القادرين على حمل السلاح من المشاة والفرسان يناهز الثلاثة آلاف رجل⁴⁸.

أما فيما يخص أوجاق الإنكشارية، فإن أعداد الزواتنة - كما أسلفنا - تزايدت بشكل كبير في ظل السياسة التوسعية النشطة التي انتهجتها السلطات العثمانية تجاه بلاد القبائل، ولا سيما عندما تولى حسن بن عثمان (?-1717م)، وابن أخته محمد بن علي الشهير بالذباح (1717-1747م) من بعده قيادة سباو؛ فخلال تلك الفترة تحديداً، تم تجديد برج سباو (1720م)، الذي كان بالأحرى حصناً ومركز قيادة، كما تم بناء كل من برج تيزي وزو (1718م) وبرج بوغني (1724م) في موقعين متقدمين⁴⁹.

ونلاحظ أنه بتزايد أعدادهم في صفوف الأوجاق في أوائل القرن الثامن عشر، وصل الزواتنة في وقتٍ أول إلى المستوى العددي للتجمعات الكرغلية الكبرى في إيالة الجزائر، ونذكر منها مستغانم، والمدينة، وقسنطينة، وحقى الجزائر العاصمة وتلمسان؛ ولكن سرعان ما تجاوزتها بنسبة الضعفين والثلاثة أضعاف، قبل أن تستقر تدريجياً كما أسلفنا في حدود الألف. وبغض النظر عن الحاجة العسكرية واستراتيجية الموقع، لا يمكن تفسير تلك الزيادة المتسارعة إجمالاً، إلا بخصوصيات انفراد بها أفراد تلك الجماعة، وجعلتها تحظى من قبل السلطات بمعاملة مميزة دون غيرها من الجماعات الكرغلية.

بالوسع أن نخمن أن البيئة الريفية القاسية نوعاً ما التي نشأ فيها الزواتنة عودتهم على الجلد وتحمل المشاق، فكانوا إلى جانب بنيتهم الجسمانية القوية قليلو التذمر والشكوى؛ كما كانوا بشكل عام بارعين في الرماية ومتمرسين على القتال في المناطق الوعرة والجبلية التي ألفوها، مثلما خبروا تكتيكات الكر والفر والكمائن التي كان يعدها جيرانهم القبائليين⁵⁰، فما من

⁴⁸ سعيدوني، "الشبكة الدفاعية..."، المرجع السابق، ص 201-202. انظر أيضاً :

- Léon Roches, *Trente-deux ans à travers l'Islam (1832-1864)*, T. 1, Librairie de Firmin-Didot, Paris, 1884, p. 187 ; Marcel Émerit, « Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIX^e siècle », in : *Annales. Économies, Sociétés, Civilisations* 1, 1966, p. 47.

وتجدر الإشارة إلى أن أحد المصادر الأوروبية حدد بلن الكراغلة "على وادي الزيتون" القادرين على حمل السلاح بلغ عددهم 2665 فرداً بالضبط : - Baron Baude, *L'Algérie*, T. 2, Arthus Bertrand, Paris, 1841, p. 358.

⁴⁹ سعيدوني، نفس المرجع السابق، ص 204-212.

⁵⁰ Roches, Op. cit., pp. 186-187.

محلة ترسل إلى بلاد القبائل، إلا ولاحظنا أن الزواتنة يشكلون نسبة لا يستهان بها من جنودها ؛ ولعل أهم ميزة تمتع بها أولئك الكراغلة في نظر الحكام والقادة العسكريين العثمانيين هي قلة ميلهم إلى الثورة والعصيان، إلى جانب عدم - أو لنقل قلة - اشتغالهم بأمور السياسة والحكم.

ولأجل كل ما سبق ذكره، نرى أن الزواتنة حظوا بمعاملة ونظرة خاصة تجلت في رد الداي حسين المتعنت للمبعوث العثماني، الذي أبلغه حظر السلطان على الجزائريين تجنيد الإنكشاريين من "بر الترك" : "ستكون مخطئا إذا كنت تعتقد أن لدي حاجة لا غنى عنها للأتراك ؛ إذ يدخل جنود مدينتي الجزائر العاصمة كل يوم عبر باب عزون، وهم على الأقل جيدون مثل أولئك الذين كنت سأأخذهم من عندكم"⁵¹، وكان الداي يتحدث بالطبع عن الزواتنة، فيما قد يوحي كلامه بأن أبواب التجنيد كانت مفتحة على مصراعها لهم. فهل كان ذلك صحيح في الواقع؟

4. "أبواب" التجنيد

لم تختلف أنماط تجنيد - التي دعوناها بشكل مجازي أبولبا - الزواتنة كثيرا عن مثيلاتها بالنسبة للعناصر الكرغلية الأخرى، إذ كان أحد أهم منابع التجنيد يتمثل في يتامى الإنكشارية (الذين كانوا يعرفون تحت مسمى چلاكة أو چلاقة⁵²)، نظرا لنسبة الوفيات المرتفعة في أوساط العسكر ؛ فعندما توافي المنية أحدهم ويخلف أطفالا ذكورا، كان يتم تسجيلهم في الدفتر ويتلقون

ذكر أحد الأسرى الألمان بشأنهم : "ويسكن الأبناء، الذين يولدون من زواج الأتراك بالقبائليات ويبلغ عددهم بضعة آلاف، في إقليم [وادي] الزيتون بجبال الأطلس الممتدة في اتجاه قسنطينة، وقد أطلق عليهم اسم الزواتنة.... ويستخدمهم الداي في جيشه، وهم جنود شجعان، يقدمون له خدمات جليلة أثناء قيام المعارك مع القبائل وذلك لمعرفةهم بالمناطق الجبلية." : بفايفر، المصدر السابق، ص. 185.

⁵¹ Esterhazy, Op. cit., p. 235.

⁵² حرفت من اللفظة العثمانية چراغ "مبتدئ، متدرب"، كون أولئك اليتامى عند بلوغهم سن الفتوة يبتدئ تدريبهم بإشراف بوابي الثكنات (القوبجية) التي انتمى إليها آبائهم : شمس الدين سامي، قاموس تركي، مج. 1، د.ط.، منشورات صاغري، إسطنبول، 2009، ص. 507 : محمد سعيد سونيا البناء، فرقة الإنكشارية : نشأتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص. 108.

علاوة تبدأ من أربع صايمات⁵³، وتزداد شيئاً فشيئاً بحيث قد تصل إلى عشر أو أحد عشر صايمة حين يشبوا. عندئذٍ، كان الأصحاء منهم للذين يشكلون الأغلبية يصبحون أنفلرا دون أدنى مشكل⁵⁴.

وكان نمط التجنيد الثاني يفعل من وقتٍ لآخر بناء على طلب يتقدم به الباش دفتدار عندما تكون هناك حاجة لسد نقص في صفوف الإنكشارية؛ وكان يتكفل آغا العرب بإيصاله لقايد الزواتنة - كونه تحت سلطته - . وكان هذا الأخير يتولى جود الشبان الراغبين في التطوع الذين تتوفر فيهم الشروط، وإرسال قائمة بأسمائهم لكاتب الدولة المذكور⁵⁵.

أما آخر أسلوب أتاح للزواتنة - على غرار باقي الكراغلة - التجند في الأوجاق، فكان الحصول على توصية من أحد كبار الموظفين أو الضباط السامين في الديوان، وهو ما كان يعتبر تأشيرة تضمن بلا ريب الانضمام إلى الإنكشارية⁵⁶. وقد رصدنا خلال تصفحنا لدفاتر مواجبات الإنكشارية أمثلة قليلة لكنها مثيرة للاهتمام عن ذلك، ونذكر منها على سبيل المثال خليل بن خليل الزيتوني الذي سجل في الدفتر بمعية قايد قشطولة في أبريل 1745م⁵⁷.

نميل إلى الاعتقاد بأن عددا من المتوسط لهم لم يكونوا كراغلة بآتم معنى الكلمة، أي أن آباءهم لم يكونوا إنكشاريين؛ ونرجح أنه جرى قبولهم بناء على أصل تركي مفترض. وما يحملنا على ذلك هو ما ذكره حمدان خوجة من أنه منذ قبول انخراط كراغلة الزواتنة في صفوف "المليشيا"

⁵³ الصايمة هي عملة حسابية تساوي خمسين آقجة (هذه الأخيرة عملة فضية صغيرة كانت تعتبر الوحدة النقدية الأساسية في الدولة العثمانية؛ وكان الأوروبيون يعبرون عنها باللفظة الفرنسية القديمة "أسپر"). انظر: - Lemnour Merouche, **Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane : I. Monnaies, prix et revenus : 1520-1830**, Éditions Bouchène, Paris, 2002, p. 31.

- خليل اينالجيک، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد م. الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص. 303.

⁵⁴ D'Alonso Cano, **La régence d'Alger : nouvel aspect topographique de la ville, son État, ses forces et son gouvernement actuel comparé avec l'ancien**, prés. et trad. de l'espagnol par Ismet Terki-Hassaine, Éditions Dar El-Quds El-Arabi, Oran, 2010, p. 120 ; Esterhazy, Op. cit., pp. 232-233, n. 2.

⁵⁵ Esterhazy, Ibid., p. 234.

⁵⁶ Jean-Michel Venture de Paradis, **Alger au XVIII^e siècle**, édité par E. Fagnan, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1898, p. 80 ; Esterhazy, Ibid.

⁵⁷ دفتر مواجبات.... المصدر السابق، رقم 1982، و. 218°.

(يعني الإنكشارية)، فإلهم قد أدخلوا على نفقاتهم الخاصة جنودا آخرين من سكان المنطقة القبائليين، كما سجلوا أبناءهم كمتطوعين في المليشيا⁵⁸.

وعلى الرغم من أن الزواتنة كانوا يواجهون صعوبة أقل - مقارنة بغيرهم من الكراغلة - في أن يتم قبولهم في صفوف الإنكشارية، إلا أن تجنيدهم في جميع الأحوال ظل مرهونا بعامل مزدوج هو الحاجة المتأتية عن تناقص أعداد الإنكشارية من جهة، ومحافظة "الأتراك" على تفوقهم العددي داخل الأوجاق من جهة أخرى⁵⁹.

مهما يكن من أمر، مثل الزواتنة ككراغلة نموذجا استثنائيا وناجحا نسبيا للقبائل المخزنية في الوسط الريفي، وتجلى ذلك في قدرتهم على استصلاح الأراضي الجبلية الصعبة وفي وفرة انتاجهم الفلاحي⁶⁰، وفي وضعهم الاجتماعي المميز الذي سمح لإقليمهم الصغير رغم وعورته بأن يتحول إلى منطقة جذب استقبلت دون تمييز أعدادا غير قليلة من القبائليين والكراغلة والأتراك. هذا العامل الأخير، بالإضافة إلى الزيادة الطبيعية، ساهما في بلوغ القبيلة القوة العددية التي نوهت بها عدة مصادر تاريخية، على غرار حمدان خوجة الذي ذكر أن "هؤلاء الكراغلة كثيرو العدد... خاصة في المكان المسمى وادي الزيتون الواقع في سفح جبل فليس (كذا)، ويعتقد أنه يوجد منهم في هذا المكان وحده ما بين 8 و 10 آلاف محارب"⁶¹. وإذا صدقنا هذا التقدير، فإن الكثافة السكانية بوادي الزيتون كانت مرتفعة نسبيا، بالنظر إلى صغر مساحته وطبيعته الريفية الوعرة. وهو ما يدعونا إلى التساؤل: كيف استغل الزواتنة جغرافية المنطقة لصالحهم؟ هل بقوا محصورين داخل حدود وادي الزيتون؟ أو بتعبير أدق، هل أدى الضغط السكاني بهم إلى تجاوز حدود منطقة استقرارهم الأصلية إلى المناطق المجاورة؟

5. وادي الزيتون ... أو بلاد الزواتنة؟

⁵⁸ حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 155.

⁵⁹ Dan, Op. cit., pp. 96 & 164 ; Cano, Op. cit., p. 114 ; Venture de Paradis, Op. cit., pp. 80, 122 & 138.

⁶⁰ سعيدوني، "الشبكة الدفاعية..."، المرجع السابق، ص. 202.

⁶¹ حمدان خوجة، نفسه.

1-5. شغل واستغلال الأراضي

بالنسبة للتساؤل الأول، لن نجد إجابة أفضل من وصف منطقة وادي الزيتون من قبل العالم الفرنسي أدريان بربروغر (Adrien Berbrugger)، الذي قام بزيارتها أواخر ديسمبر 1837م، حيث ذكر أن "بلاد الزواتنة، التي كانت تترأى لنا حينئذٍ من جهة اليمين، رائعة بما يكفي لتبرير استطراد قصير. فهذه البلاد، كما بدت لنا، تتكون من جملتين متقابلتين من المرتفعات الجبلية، يجري بينهما وادي الزيتون الذي سميت المنطقة باسمه، لكثرة أشجار الزيتون المزروعة في تلك النواحي. وجمال الزراعات الذي يلاحظه المرء في هذا المكان ربما لا مثيل له في الإيالة برمتها، وسيشرف حتى أكثر البلدان تحضرا.

إن المرتفعات الجبلية التي تجانب الضفة اليمنى لوادي الزيتون هي أكثر ما يستلفت الانتباه ؛ فقد يسرت تشكيلتها الجيولوجية عمل الإنسان بشكل فريد. وتنقسم تلك الجبال، المستغلة زراعيًا من سفوحها إلى قممها، إلى ثلاث مناطق يفصل بينها حزامان يحتفظان بالترية السطحية ويلغيان آثار الانحدار. إنها، إذا جاز التعبير، تبدو كثلاثة تلال طبقية يعلو بعضها البعض ؛ وقد خلقت الطبيعة هنا هذا الترتيب المتدرج، الذي يكافح من خلاله المزارعون الجبليون بشكل اصطناعي الآثار الوخيمة للمنحدرات.

تزدهر الكرمة والتين والزيتون في هذه المنطقة وسط مساحات الحبوب. ولا تتأثر العين بشكل غير مستحب بتلك الأحراش، ولا بطاقات الدوم (النخيل القزم) التي يراها المرء في وسط الحقول العربية، والتي يمرر حولها البدوي الكسول محراثه حتى لا يكبد نفسه عناء اقتلاعها.

وإذا كانت النظرة الأولى للعين تنبئ عن وجود سكان مجدين ونشطين، فإن مظهر القرى يؤكد هذا الانطباع الأول تمامًا. فهناك أكواخ أكثر عددًا وأحسن بناء من أي مكان آخر، وسقوفها غالبًا مبنية بالأجر (كذا) بدلًا من القش المستخدم بشكل عام في غيرها من الأماكن ؛ كما توجد بعض المنازل المطلية بالجير، ومسجد ؛ وكل ذلك يشكل في مجمله مشهدًا يولد

السرور والاعجاب، خاصة إذا ما قارنناه بالدواوير البائسة لمتيجة. وفي ذلك الوقت، كانت قبيلة وادي الزيتون كثيرة العدد، وتتألف من كراغلة وقبايل...⁶².

ويتضح لنا جلياً من هذه الشهادة أن الزواتنة شكلوا النموذج الوحيد لتعمير الريف وتطوير استغلال الأراضي المكثف من قبل عناصر كرغلية، حيث اشتهروا مثلما رأينا بمهارتهم في الزراعة التي تبدت في قدرتهم على استصلاح الأراضي الوعرة وطرق ردهم للمزروعات وجودة إنتاج أشجارهم المثمرة، وفي مقدمتها شجر الزيتون.⁶³

2-5. كثافة السكان وحدود المنطقة

أما فيما يخص حدود منطقة استقرار الزواتنة، فينبغي علينا، أمام شح المصادر، لملمة كل المعلومات المتاحة سواء على الصعيد التاريخي أو الجغرافي، التي بوسعها إفادتنا في أن نكون فكرة تقريبية عن ذلك.

بالرجوع إلى زمن تأسيس "المستوطنة الكرغلية" خلال الفترة (1632-1639م)، المعلوم أن ليس كل المنفيين إلى تونس حطوا وقتذاك رحالهم بوادي الزيتون، إذ كان هناك جمعين آخرين : الأول سار في ركاب أحد أمراء آل بلقاضي، أحمد بن عمار بوختوش، إلى قلب بلاد القبائل، حيث طلب منهم إعانته على استعادة عرش أبيه ؛ وبعد أن صار حاكماً على إمارة كوكو، شاركوا تحت راياته في الثورة التي سارع إلى إعلانها ضد "الأتراك" في محاولة منه على الأرجح كسب ولاء المزيد من القبائليين واستعادة أمجاد أجداده⁶⁴. لكن كوننا نجهل بشكل شبه كلي الأحداث الداخلية التي عرفتها تلك الإمارة، فإنه لا يمكننا إلا أن نفترض أن بوختوش أدمج معظم أولئك الكراغلة ضمن قواته أو حرسه الأميري، عرفانا بمساهمتهم أو خوفاً من أن ينفصلوا عنه ويلتحقوا بمواطنيهم في

⁶² Adrien Berbrugger, *Voyage au camp d'Abd-el-Kader à Hamzah et aux montagnes de Wannourhah (Province de Constantine) en Décembre 1837 et Janvier 1838*, Imprimerie d'Eugène Aurel, Toulon, 1839, pp. 12-13.

⁶³ سعيدوني، "الشبكة الدفاعية..."، المرجع السابق، ص. 202.

⁶⁴ Boyer, "Le problème...", Op. cit., p. 83.

- أرزقي شويتام، "دور الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية (1519-1830م)"، في : أفكار وأفاق 4، 2013، ص. 181 : سعيدوني، نفسه.

وادي الزيتون. أما الجمع الثاني من الكراغلة، فاستقر بجوار برج زمورة⁶⁵، الذي يشكل أحد محطات الطريق السلطاني المتجه نحو قسنطينة⁶⁶؛ والظاهر أن عددهم كان جد متواضع على اعتبار أن حيا واحدا فقط (السويقة) احتضنهم بالبلدة المذكورة، كما لا نستبعد أن يكون أولئك الكراغلة متخلفون اعترضت الحامية "التركية" طريقهم لمنعهم من الانضمام إلى أقرانهم بإمارة كوكو الثائرة أو من الماضي قدما عبر ييبان الحديد باتجاه موطنهم القديم، الجزائر العاصمة.

على أي حال، يبقى غرضنا من هذا الاستطرد التاريخي الخلو إلى أن عدد الكراغلة الذين توقفوا بوادي الزيتون، بناء على ما سبق ذكره، لم يكن ليفوق بكثير الألف وخمسمائة رجل وفق تقديرنا. ولم تر السلطة العثمانية الممثلة في شخص قايد بني جعد مانعا من أن يملكوا أراض متفرقة بحوض الوادي المذكور، عن طريق شرائها من مالكيها الأصليين؛ وبمرور السنين، تأقلم الوافدون شيئا فشيئا في موطنهم الجديد، حيث ربط بعضهم علاقات مصاهرة مع سكان المنطقة، فيما قام البعض الآخر باستقدام أهاليهم من الجزائر العاصمة، بعد أن قطعوا الأمل في العودة.

ونرجح أنه قبل نهاية القرن السابع عشر كان أفراد قبيلة الزواتنة يتراوح تعدادهم بشكل إجمالي بين ستة وتسعة آلاف نسمة؛ وهو ما يمكن عده كثافة سكانية مرتفعة نسبيا مقارنة بالمناطق المجاورة⁶⁷، إذا علمنا أن وادي الزيتون كان يشق منطقة غلبت عليها المرتفعات الجبلية الوعرة، قدر الإدريون الفرنسيون مساحتها الكلية بحوالي 8164 هكتار⁶⁸.

الجدير بالذكر أن وادي الزيتون لم يعد يعرف بهذه التسمية منذ القرن التاسع عشر على الأقل، بل أضحي يعرف بوادي بوحمود؛ وينبع هذا الوادي في ذراع بوخلفون بأقصى شمال شرق أراضي قبيلة شرفة الظهرة التي أتينا على ذكرها سابقا، ويصب في واد يسرقب قنطرة بني هيني، بعد أن يرفده وادي تالا أوفراح عند المضايق الشهيرة الواقعة إلى الشمال من مدينة الأخضرية⁶⁹.

⁶⁵ يقع برج زمورة بإقليم البليان، وتحديدا على بعد حوالي 20 كيلومتر شمال شرق مجانة (ولاية برج بوعريج). ومن غريب الصدف أن اسم البلدة زمورة بربري الأصل مشتق من اللفظة أزمو، وتعني بكل بساطة "زيتون".

⁶⁶ Boyer, "Le problème...", Op. cit., p. 83.

⁶⁷ سعيدوني، الحياة الريفية...، المرجع السابق، ص ص. 448-460.

⁶⁸ F. Accardo, *Répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie*, Imprimerie de Adolphe Jourdan, Alger, 1879, p. 199.

⁶⁹ سعيدوني، "الشبكة الدفاعية..."، المرجع السابق، ص. 200.

لقد أتاح لنا ورود الأصول الجغرافية لعددٍ من الطوبجية الزواتنة بمحفظة تضم 81 ورقة منفصلة عائدة لأواخر العهد العثماني⁷⁰ أن نُؤشروا ولو بصورة تقريبية لمعالم انتشار أولئك الكراغلة في المنطقة⁷¹. ورغم أن عدد الوثائق يبقى محدودا، إلا أن الأسماء الجغرافية التي تضمنتها مكنتنا من جرد أماكن استقرار الزواتنة التالية :

اربعة طاش	[بني] جعد	عنصر
ارقوب/عرقوب	[بني] عاصم/أولاد عاصم	قداره/قطاره
[أولاد] بكر	بني ناصر/بني نصر	قرنطه/غرانتطه
[أولاد] بن صالح	بوحلوفه	قورصه/قرصه
أولاد بودربال/أولاد بدربال	[بو] دلاع (?)	كندا
أولاد حساين	بودواو/بودوواو	محمديه (?)
أولاد خضر	بورباچ/بورباش	مراوه
أولاد خليل/ولد خليل	تيرين	مسمولاته
أولاد رجم	تيريكه	مسوره
أولاد شلبي/أولاد چلبي	ثالة اوگني	مصباحه
أولاد يحيى/أولاد يحيا	ثله وكال	منصوره
أولاد يوسف	حموده	موغالي/موغلي
برقاته/برقاطه	ديرمشه	هنديه
بن قاره	ساكامودي	[ولاد] محمود
بن كانون	سليم بن دهيه	[ولد] تاتار
[بن] مي/حوش بن مي	صرناجه	ولد رجب
بني اسبيح	عبد الجبار	ولد زيان
بني براهيم	عمالي	ولد مجبر

⁷⁰ 1MI-69. Registre du beylik n° 80 & feuilles volantes ayant appartenu aux registres de solde (des cannoniers), Archives d'outre-mer, Aix-en-Provence.

⁷¹ انظر الملحق رقم 2: مواقع استقرار الزواتنة في حوض وادي الزيتون والمناطق المحيطة به. بالمقابل، كانت دفاتر المواجبات جد شحيحة فيما يتعلق بتحديد الأصول الجغرافية للزواتنة، إذ لم نسجل إلا إشارة واحدة خصت نفوا جديدا اسمه أحمد بن محمد زيتوني، بدأ الخدمة في الإنكشارية بصفة "عساس" في المحلة في رمضان 1242هـ الموافق لأبريل 1826م، حيث ذكر أنه من قرية "أولاد بودربال" (الدرابلية) : دفتر مواجبات.... المصدر السابق، رقم 1977، و. 174و.

الملاحظة الأولى التي تبادرت إلينا هو أن أماكن استقرار الزواتنة لم تنحصر بوادي الزيتون، بل تعدتها إلى المناطق المحيطة، فمثلاً الزمامات والبلدات التالية : الأربعاش - أولاد حمودة - بني صبيح⁷² - بوحلوف - بودواو - تبرين - سالم بن زهية⁷³ - قدارة - [مراد] قورصو - مجبر - مسورة - المنتصر بن كانون⁷⁴، كانت تابعة لوطن خشة ؛ فيما كانت صنهاجة، أولاد خليل، سكامودي وكندا تابعة لوطن بني جعد، غير أنها خارج بلاد الزواتنة ؛ أما أولاد بن صالح وعمال⁷⁵ - التي نجدها دوماً مكتوبة بصيغة عمالي -، فكانت تتبع وطن أو قيادة يسر.

يتضح لنا مما سبق أن الزواتنة عرفوا خلال القرن الثامن عشر حركة انتشار باتجاه الشمال والشمال الغربي، نظراً إلى أنه ضاقت بهم السبل - إن صح التعبير - في موطنهم الأصلي، وادي الزيتون، بسبب ارتفاع أعدادهم بنسبة الضعف تقريباً حسب تقديرنا عما كانت عليه أواخر القرن السابق ؛ وقد أمكننا تقدير هذا النمو السكاني المرتفع، على اعتبار أن عدد الرجال القادرين على حمل السلاح منهم تراوح بين أربعة وخمسة آلاف، مع العلم أن تلك الفئة تمثل حوالي الثلاثة أعشار من أية مجموعة بشرية في الظروف العادية.

ولا يمكن أن تفسر الزيادة الطبيعية (فرق الولادات والوفيات) وحدها تضاعف عدد أفراد هذه القبيلة في ظرف بضع عقود، إذ كما أشرنا إلى ذلك من قبل، كانت بلاد الزواتنة تشكل مستقراً وأرض لجوء بالنسبة للإنكشارية - ولا سيما الفارين من العاصمة أو من محلة الشرق عندما تمر عبر أراضيهم -، بالإضافة إلى أن زعماء القبيلة كانوا لا يتحرجون من تسجيل أسماء جيدهم وأنسابهم من القبائليين كزواتنة - مثلاً أشار إلى ذلك حمدان خوجة - في دفاتر الجنديّة ؛ وهذين العاملين المذكورين ساهما بلا ريب في تلك الزيادة بشكل ملموس.

⁷² سعيدوني، الحياة الريفية...، المرجع السابق، ص 110 و169.

⁷³ نفسه.

⁷⁴ نفسه، ص 111 و169.

⁷⁵ تجدر الإشارة إلى أن عمال هي في الواقع أراضي القبيلة التي تحمل نفس الاسم، وتقع شمال شمال شرق بلاد الزواتنة.

خاتمة

وعلى ضوء ما تقدم، يتضح أن الأحداث الجسام التي عرفتها العاصمة أواخر رمضان 1038هـ، المتمثلة في المواجهات الدامية المتفرقة في أزقة المدينة بين عناصر "تركية" وكرغلية، قد خلقت جوا من الشحنة والتباغض بين تلكما الفئتين يندربما هو أسوأ.

تمخض عن قرارات النفي والإبعاد التي سارع الديوان إلى اتخاذها لحسم الأزمة ردتى فعل مختلفتين تماما في أوساط الكراغلة المنفيين : البعض منهم تولد لديه شعور عميق بالظلم وغضب جرههم للانضمام إلى القبائليين الثائرين في بلاد زواوة، سعيا لاستعادة حقوقهم بالقوة ؛ والبعض الآخر، أكثر تمالكا وميلا إلى الدعة، حاولوا العودة إلى ديارهم في مسار مواز، لكن دون أن تكون لهم نية الاصطدام بالسلطة العثمانية وقواتها. ولقد لاحظت القوات "التركية" التي أرسلت لمنع جموع العائدين من التقدم طابعها المسالم، إذ لم تكن لتسمح لأعداء الأمس بالتوطن بمنطقة متاخمة للطريق السلطاني وبلاد القبائل لو رأت أنهم قد يشكلون خطرا. وهكذا، تكفلت الطبائع الإنسانية بالأساس في غربلة العناصر الأقل عدائية للأتراك لتتخذ مستقرا لها بوادي الزيتون.

وكانت إحدى النتائج غير المتوقعة لاستقرار أولئك الكراغلة بالوادي المذكور أنه صار منطقة جذب للعناصر التركية العثمانية لعدة عوامل، ونذكر منها : العلاقات الطيبة التي ربطها الزواتنة مع أفراد المحلات التي كانت تعبر منطقتهم - تشارك الأتراك لنفس المذهب والتقاليد مع الزواتنة، على اعتبار الأخيرين ذوو أصول "تركية" يعتزون بها - وعورة المنطقة وقربها نسبيا في ذات الآن من دار السلطان، مما جعلها إحدى وجهات الفرار المفضلة للإنكشارية. وكان هذا التدفق الضئيل والمتواصل بمثابة الخيط الذي حافظ على الصفة الكرغلية لعموم الزواتنة - رغم ارتفاع نسبة مصاهرتهم لجيرانهم القبائليين - على المدى المتوسط، أي إلى حين إصبل الداى شعبان خوجة أواخر القرن السابع عشر لتعليمات أتاحت لكراغلة الجيل الثاني التجند في الأوجاق الإنكشارية.

أما ما فضل الزواتنة عن باقي الكراغلة في نظر السلطات العثمانية من حكام وقادة العسكريين، فأولها طبعهم الريفي الذي عودهم على مشاق الخدمة العسكرية المتنوعة، دون أن ننسى براعتهم في الرماية وتمرسهم القتالي في المناطق الوعرة والجبلية ؛ وثانيها أنه كان لديهم اعتزاز بأصولهم وبالانتماء إلى قبيلة قوية، نوه به الطبيب الألماني سيمون بفايفر، لكن رغم ما ذكره، من

دون احتقار للعناصر الأخرى عموماً⁷⁶؛ وآخرها أنهم كانوا يتميزون بقلّة ميلهم نسبياً إلى الثورة والتمرد، إلى جانب قلّة أو عدم اشتغالهم بشؤون السياسة والحكم. ومما سبق، خلصنا إلى أن الزواتنة مثلوا نموذجاً فريداً للقبائل المخزنية في الوسط الريفي، وتجلّى ذلك في مقدراتهم الفلاحية المتميزة رغم وعورة أراضيهم وفي وضعهم الاجتماعي ككراغلة الذي سمح لإقليمهم الصغير بأن يتحول إلى منطقة جذب وانصهار لأعدادٍ غير قليلة من القبائليين والكراغلة والأتراك. وكل ذلك ساهم في بلوغ القبيلة القوة العددية والأهمية العسكرية التي نوهت بها عدة مصادر تاريخية.

⁷⁶ بفايفر، المصدر السابق، ص. 185.

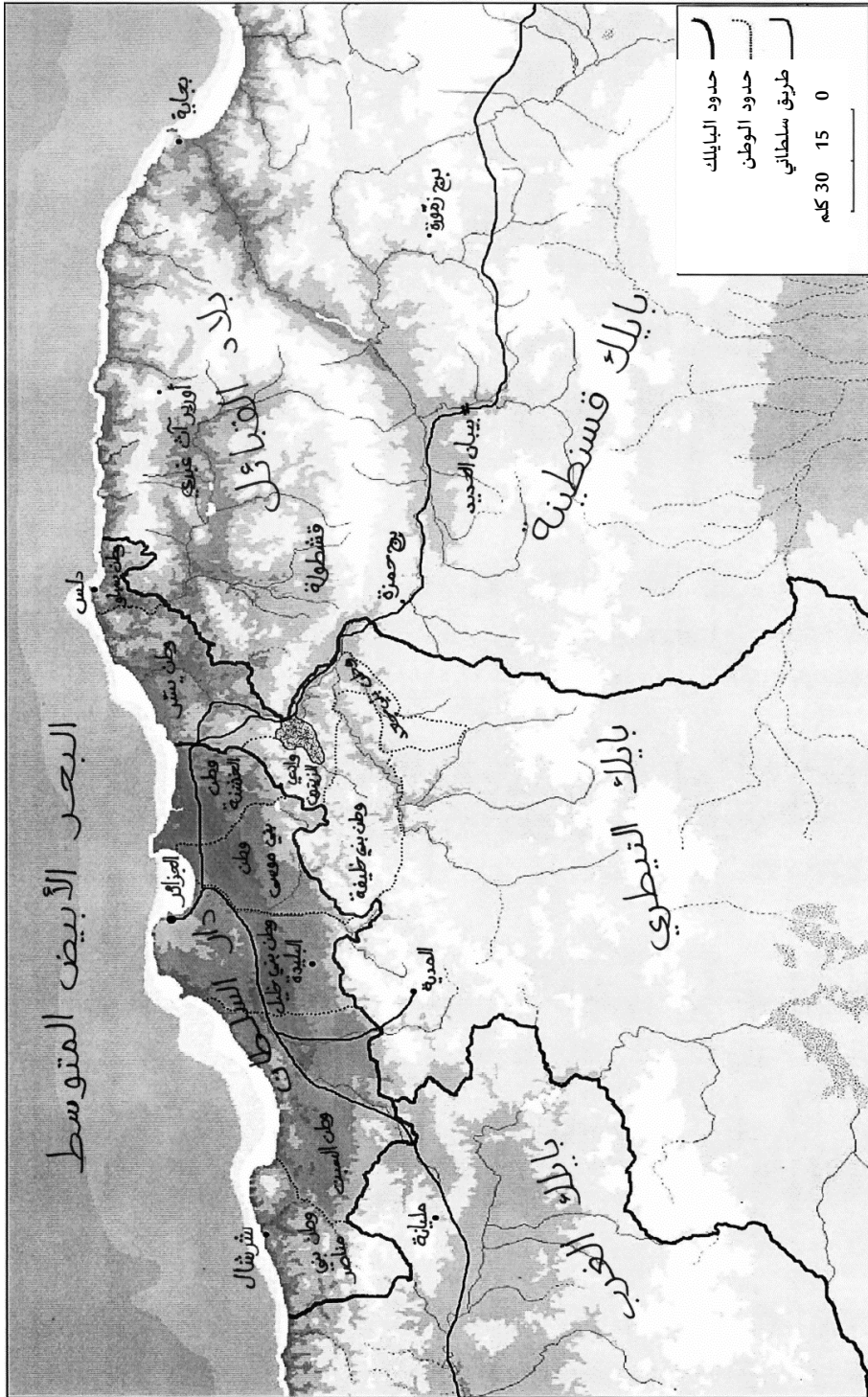
قائمة المصادر والمراجع

- خليل اينالجيک، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد م. الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.
- سيمون فريدريك بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتقديم وتعليق أبو العيد دودو، دار هومه، الجزائر، 2009.
- بلبروات بن عتو، "الباي محمد الكبير - باي وهران 1779-1797: حياته وسيرته"، في : مجلة عصور 3، جوان 2003، ص ص. 157-164.
- محمد سعيد سونيا البنا، فرقة الإنكشارية : نشأتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.
- كمال بيرم، "فئة الكراغلة بالجزائر. كراغلة مدينة المسيلة أنموذجا"، في : مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية 11، ديسمبر 2016، ص ص. 195-204.
- هاملتون جب و هارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة أحمد عزت عبد الكريم، 2 ج.، دار المعارف، القاهرة، 1971.
- شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، 2 ج.، ط. 2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.
- خليفة حماش، "أهمية المصطلحات التركية في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية"، في: كتاب تحية وتقدير للأستاذ خليل الساحلي أوغلو، ج. 1، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 1997، ص ص. 142-167.
- دفتر موجبات يكيچريان جزاير غرب، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، رقم 1960، 1961، 1977 و 1979 مكرر.
- شمس الدين سامي، قاموس تركي، 2 مج.، د.ط.، منشورات صاغري، إسطنبول، 2009.
- ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791-1830)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- ناصر الدين سعيدوني، "دور قبائل المخزن في تدعيم سلطة البايليك بالجزائر"، في : ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط. 2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص. 206-223.
- ناصر الدين سعيدوني، "الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل"، في: المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية 30، أوت 2004، ص ص. 189-215.

- وليام شالر، مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر [1824-1816]. تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت.، الجزائر، 1982.
- أرزقي شويتام، "دور الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية (1830-1519م)", في : أفكار وآفاق 4، 2013، ص ص. 175-189.
- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1830-1514، دار هومه، الجزائر، 2012.
- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وترجمة محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- علي رضا باشا بن حمدان بن عثمان خوجة الجزائري، مرآة الجزائر، ترجمة ونشر خليفة حماش، نسخة الكترونية منشورة بمناسبة تحرير وهران والمرسى الكبير، قسنطينة، 2021.
- زبدين قاسمي، قيادة سيباو 1132هـ/1720م-1247هـ/1857م، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006-2007.
- فاتح رجب قدارة، "الكراغلة في التاريخ الليبي الحديث والمعاصر"، في: المؤتمر الدولي الخامس بعنوان العرب والترك عبر العصور، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، الإسماعيلية، مارس 2013، ص ص. 466-483.
- فارس كعوان، النظام العثماني والفئات الاجتماعية في الجزائر. الكراغلة نموذجاً، 1830-1629، ماجستير في التاريخ، جامعة منتوري - قسنطينة، 2004-2005.
- أمين محرز، أوجاق الإنكشارية بإيالة الجزائر في عهد الدايات (1830-1671م). دوره وتنظيمه من خلال الوثائق العثمانية: دفاتر المواجبات، 2 ج.، دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2020.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط. 2، دار الشروق، القاهرة، 1993.
- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، دراسة وتحقيق فارس كعوان، ط. 1، بيت الحكمة، العلمة، 2009.
- محمد مقصودة، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1830-1519م، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2014م.
- محمد مقصودة، أوضاع الكراغلة في الجزائر وتونس وليبيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. دراسة سوسيو تاريخية مقارنة، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران 1، 2018-2019م.
- أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط. 1، عالم الكتب، القاهرة، 1969.

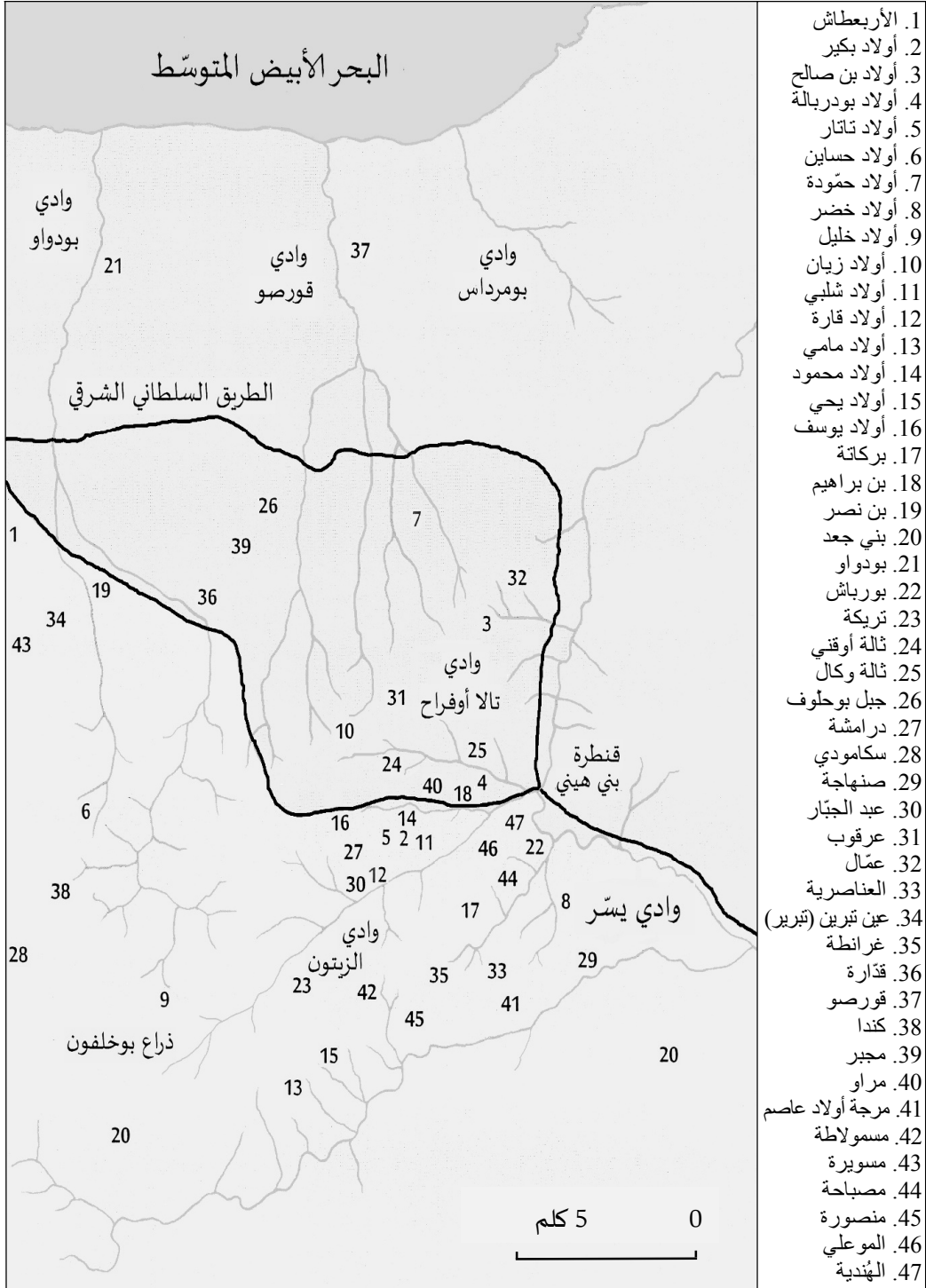
- **1MI-69. Registre du beylik n° 80 & feuilles volantes ayant appartenu aux registres de solde (des cannoniers)**, Archives d'outre-mer, Aix-en-Provence.
- F. Accardo, **Répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie**, Imprimerie de Adolphe Jourdan, Alger, 1879.
- Chevalier Laurent d'Arvieux, **Mémoires du chevalier d'Arvieux**, mis en ordre par le R.P. Jean-Baptiste Labat, T. 5, Delespine le fils, Paris, 1735.
- Henri Aucapitaine & Henri Federmann, « **Notices sur l'histoire et l'administration du beylik de Titeri** », in : R. A. 9, 1865, pp. 280-302.
- Baron Baude, **L'Algérie**, T. 2, Arthus Bertrand, Paris, 1841.
- Adrien Berbrugger, **Voyage au camp d'Abd-el-Kader à Hamzah et aux montagnes de Wannourhah (Province de Constantine) en Décembre 1837 et Janvier 1838**, Imprimerie d'Eugène Aurel, Toulon, 1839.
- S. A. Boulifa, **Le Djurdjura à travers l'histoire (depuis l'Antiquité jusqu'à 1830)**, J. Bringau, Alger, 1925.
- **Bulletin officiel du Gouvernement Général de l'Algérie (Partie supplémentaire)**, T. 9, Imprimerie typographique et lithographique Bouyer, Alger, 1870.
- Pierre Boyer, "**Le problème kouloughli dans la régence d'Alger**", in : R.O.M.M. n° spécial, 1970, pp. 79-94.
- D'Alonso Cano, **La régence d'Alger : nouvel aspect topographique de la ville, son État, ses forces et son gouvernement actuel comparé avec l'ancien**, prés. et trad. de l'espagnol par Ismet Terki-Hassaine, Éditions Dar El-Quds El-Arabi, Oran, 2010.
- Lucien Chaillou, **Textes pour servir à l'histoire de l'Algérie au XVIII^e siècle, suivis de la guerre de quinze heures**, Toulon, 1979.
- Pierre Dan, **Histoire de Barbarie et de ses corsaires**, 2^e éd., Paris, 1649.
- Albert Devoulx, **Tachrifat. Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger**, Imprimerie du Gouvernement, Alger, 1852.
- Marcel Émerit, « **Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIX^e siècle** », in : Annales. Économies, Sociétés, Civilisations 1, 1966, pp. 44-58.

- Walsin Esterhazy, **De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, C. Gosselin, Paris, 1840.
- Henri-Léon Fey, **Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination espagnole**, Typographie Adolphe Perrier, Oran, 1858.
- Kamel Filali, « **Les Kuloughlis. Essai d'histoire d'une fusion ethnique d'origine ottomane dans l'identité algérienne** », in : Annales U.R.A.M.A. 3, 1999, pp. 71-82.
- H.-D. de Grammont, **Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)**, Ernest Leroux, Paris, 1887.
- H.-D. de Grammont, « **Relation entre la France & la régence d'Alger au XVII^e siècle** », in : R. A. 28, 1884, pp. 206-206.
- Francis Knight, **A relation of seven yeares slaverie under the Turkes of Argeire, suffered by an English captive merchant**, T. Coles, London, 1640.
- Général Auguste Margueritte, **Extrait du dossier des opérations d'application du Sénatus-consulte du douar Guerrouma**, Alger, 15 juillet 1867.
- Ernest Mercier, **Histoire de Constantine**, J. Marle et F. Biron, Constantine, 1903.
- Lemnouar Merouche, **Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane : I. Monnaies, prix et revenus : 1520-1830**, Éditions Bouchène, Paris, 2002.
- Joseph Nil Robin, « **Note sur l'organisation militaire et administrative des Turcs dans la Grande Kabylie** », in : R.A. 17, 1873, pp. 132-140 & 196-207.
- Léon Roches, **Trente-deux ans à travers l'Islam (1832-1864)**, T. 1, Librairie de Firmin-Didot, Paris, 1884.
- Tal Shuval, **La ville d'Alger vers la fin du XVIII^e siècle. Population et cadre urbain**, CNRS Édition, Paris, 1998.
- Jean-Michel Venture de Paradis, **Alger au XVIII^e siècle**, édité par E. Fagnan, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1898.



الملحق رقم 1: موقع وادي الزيتون ضمن خريطة التقسيم الإداري لإيالة الجزائر أواسط القرن السابع عشر

الملحق رقم 2: مواقع استقرار الزواتنة في حوض وادي الزيتون والمناطق المحيطة به.



الملحق رقم 3: نموذج ورقة منفصلة (و° 194، رقم 62) تتضمن بيانات لمُدفعين كراغلة
- أغلبهم زواتنة - ينتمون إلى جماعة الطوبجية الأتراك



المصدر:

- 1MI-69. Registre du beylik n° 80 & feuilles volantes ayant appartenu aux registres de solde
(des cannoniers), Archives d'outre-mer, Aix-en-Provence.